



القديسة مريم (المصرية)

والانبا زوسيم القس

مشارس احد كنيسة السيدة العذراء بمحرم بلك



بسم الله الرحمن الرحيم
قد طار حجة وجهه دانه
من عجب لنا
اسندك مدارس
العزراء

مكتبة كنيسة السيدة العذراء
بمحرّم بك
مكتبة من سير قدسي الكنيسة

القديسة مريم (المصرية)

والأنبا زوسيم القس

يطلب من :

مكتبة مدارس أحد كنيسة السيدة العذراء بمحرّم بك
ومكتبة كنيسة مارجرس باسبورتنج .



حضرة صاحب القداسة البابا المذموم الانبا كيرلس السادس
بابا وبطيريك الكرازة المرقسية .

مقدمة

نحتاج كثيراً في حياتنا الروحية إلى أمثلة حية . . . ولانحسد
الأعظم من تاريخ آباءنا - قديسي الكنيسة القبطية - لنقدم منه
نماذج قوية . . . وقد اخترنا هنا مثلاً على حياة التوبة العجيبة .
نسأل الله أن يجعلها بركة لكثيرين ، وله المجد دائماً أبدياً
آمين .

هذا الكتاب . . .

هو سيرة عذراء عاشت في القرن الخامس الميلادي .

أمضت حياتها الأولى في دوامة من شرور هذا العالم الجارفة ، فارتقت في
مذنباته غير الشبعة لنفس . لم يكن لها ما يوجه حياتها سوى والداها اللذان
مردان ما إنقلا من هذا العالم . . . فأصبحت حرة طليقة من بعدهما
. . . إن ما يقرب من (١٧ عاماً) تنفق في إشباع ملذاتها . . .
ولكن - هل كان في كل ذلك شعاعاً لنفسها . . . ؟
لم يكن الأمر كذلك . . . لأنها حينها التفت فجأة مع النعمة الإلهية
وأحست (بتعب الرب يسوع) الواضحة في صديقه . . . تركت كل شيء
للوقت . . . وتبعته .

صقلت به لأنها وجدت فيه شيئاً حقيقياً لنفسها الجامعة . . . باعدت
كثيراً . . . لكي تنصير . . . بكت . . . لأنها لم تجد ذاتها مستعدة له لأجل
خطاياها الكثيرة . ولكن يسوع قال لها (عق . . . ماثورة لك
خطاياك) مت ٩ : ٥ . فلا تعجب . . . ١

لها التوبة تجعل الزناة بتلاميذ . . . فهي تدل على محبتهم
وتجديدهم وتقدم من حسناتها بتلاميذ المسيح . . .

هذه السيرة :

+ إلى المتنافين حياة الطهارة . . .

لأن هذه القديسة واحدة من قديسات كثيرات عشن في عمق
التركبة مع الله لأنهن وجدن فيه كل احتياجاتهن . . .
إنه وحده القادر أن يملأ فراغ نفوسنا التواقفة إلى الحب .

+ إلى المجاهدين . . .

تقدم لهم جهاداً . . . (حق الدم ضد الخطية) لإمرأة . . .
عرفت عظمة الحياة مع المسيح ، وكم تحتاج إلى تضحية . خاصة
أمام موت المسيح لأجلنا . . . أحست بفداحة الخطية وخطورتها . . .
أعطت لإيمانها الصورة الحية العاملة فسارت من نصرة إلى نصرة .

لذلك . . . لتطب نفسك بأخانا المجاهد النعب من أجل الحياة
الأبدية . . . ونوصيك الانحور في الطريق فأنت لست وحيدك في
طريق الرب الذي اجتازاه هو نفسه أولاً . . . فهو معك يقويك
. . . كما أن هناك سحابة من القديسين قد سبقوك فيه . . . وهذه
واحدة منهم فتشجع . . .

+ أخيراً إلى البعبين والمنظلمين . . .

دعني أسألكم . . . أن يثابروا ذواتهم أمام سليب ربنا يسوع .
إن هذا العالم بكل مباهجه لا يمكن بأية حال أن يشبع نفوسنا
التي شككت على صورة الله . . . ولا يسد فراغها سوى الله ذاته خالقها
. . . كما قال أغسطينوس (الست أنت خلقتنا يارب . . . وستظل قلوبنا
قلقة ومضطربة إلى أن تستريح فيك) .

فكم حزيناً وراء العالم ثم رجعنا فندمنا أخيراً . . . ولكن لن
ندم عن أية خطوة جريناها نحو يسوع لأن (جميع الذين تبعوه
وجوههم إستارت ولم يحز)

ماذا نعمل . . .

إن الحبة الإلهية تقف حائرة أمام طيشنا من جيد وتقول
تعالوا إلى يا جميع المتعبين . . . أنا أريحكم) مت ١١ : ٢٨ . . . لماذا

لم تعلم من الخطوة الثابته ١٩ . . ما أعجبنا . . .

ابتداع الزناة والصوص والعشارين . . . لإختلاف الحياة
الأبدية ونحن بنو الملوكوت تدمرغ في حماة النجاسة ! حقاً (. . . إن
العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله) مت ٢١ : ٣١ .
و نحن (إذ رأينا أخيراً . . . لم نندم) . . . ولماذا لم يأخذنا
الحياة من اللصاق بهم لأنهم تقدمونا . . . لماذا لا ننجب لأنتنا لم
نقتصد بهم . . .

سبتمبر ١٩٦٢

مزارس أحد كنيسة السيدة العذراء

توت ١٦٧٨

القديس زوسيموس (١)

في أحد أديرة فلسطين عاش هذا الراهب القديس ناسكاً مجاهداً
مشارباً على الصوم والصلاة وقهر الذات مداوماً على تلاوة الكتاب
للقدس في معظم أوقاته ومشتغلاً بالتساويح المقدسة حتى أن الشركة
الألهية أدارت روحه ورؤى مماوية كانت تبهج بحبه . وكان الناس
يقصدونه من كل صوب لسماع إرشاداته .

هكذا مكث زوسيموس نحو (٥٣) سنة بالدير لم تعصف به التجارب .
ولكن كان لا بد أن تهاجمه أفكار العظمة السكاوية ، فحدثته
+ أفكاره بأنه أعظم ناسك على الأرض وأنه قد بلغ مرحلة السكال
السيحي - فهل هناك فيلسوفاً يتوقفه في طريق المعرفة . . . ؟

ولكن الله الذي لا يقدر أحد أن يحطف خرافه من يده أراد
أن يؤديه فأرسل إليه أحد الرهبان الذي إنشده إلى دير قرب نهر
الأردن وتركه هناك وأمره أن يقضى فيه بقية حياته . . . فأطاع
زوسيم هذا الصوت كذاته من السماء ولا سيما أنه كان يود أن يرى
من هو أعظم . . .

(١) راهب عاش في القرن الرابع الميلادي .

وهناك قابله رئيس الدبر بإنضاع كثير قلائد :

« لماذا جئت إلى مساكين مثلك . . . ١٤٠ »

فأجابهُ زوسيم بأنه ما جاء إلا ليتعلم طريق الكمال منهم .
ولكن الرئيس أجابه : أن الله وحده الذي إقتادك إلى ههنا هو
الذي يملك . وسمح له الإيلومانس أن يأخذ مسكانه بين الإخوة ،
فكان يرى كل يوم أموراً تعجب لها نفسه فيتصافر أمامها . . .
فرجع وتدم على ما كان من أفكاهه السريرة ، وكان يكت
نفسه قلائد : مسكين ياروسيم لأنك ما فعلت إلا ما في استطاعة أي
إنسان أن يفعله . ولم تفعل إلا قليلاً مما ينبغي عليك فعله وإراد
الله أن يعطيه درساً أشد قسوة من الأول .

وكان الدبر قريباً من الصحراء التي كانت شاهدة لصوم المسيح
له المجد فكانت من عادة الرهبان أن يقضوا فترة صوم الأربعين
للقدسة خارج الدبر ، كل على إفراد ، ممارسين فيها أصعب
التدابير النسكية ولا يرجعون إلا في أحد الشعانين . خرج
زوسيموس كالعادة من بعد صلاة قداس الأحد الأول من الصوم
بعد تناول وبعد تلاوة الصلوات الخاصة بهذه المناسبة وقبل إخوته
الرهبان قبلة المحبة والسلام وضع ميطنانية أمام الرئيس وأخذ
يركته . وبعد أن عبر الأردن قرر أن يمضي فترة الصوم كلها

ماشياً . فإجتاز جبال «وآب ولدة» عشرين يوماً كان يسير باستمرار
مرتلاً ومصلياً لا يتوقف إلا عند القروب ليأكل وينام بعض
الوقت .

لقاء مع صريم المصرية

ولما أوشك الصوم أن ينتهي كان عليه أن يفكر في العودة ،
فقال إلى الشرق قليلاً ، وما أكد أن بركع ويرفع عينيه إلى السماء
ليصل . . . حتى لمح أمام عينيه على بعد شبه جسد إنسان يظنه في
أول الأمر شيطاناً أي ليجهربه . . . فارتعد من الخوف ورشم
علامة الصليب تجاه هذا المنظر .

ولما تحقق منه وجد أنه شبه إنسان يمتشي ناحية الجنوب وكان
جلده بنياً من أثر حرارة الشمس وشعره يشبه الصوف . وجرى
زوسيم نحو هذا الإنسان ولكن سرعان ما هرب هذا الأخير منه .
ففسى زوسيم كبرسته وهرع مسرعاً وراء الشبح المجهول . . .
وأخيراً اقترب منه وصرخ نحوه : يا خادم الله يا أخي . . .
توقف . . . لماذا تهرب من عجوز مثلي ؟ إنتظرنى من أجل محبة الذي
أنيت تستخدمه ههنا .

فأشفق الشبيح على الشبيح وتوقف عند حجرة في الأرض تشبه

آدم نهر حاف ، وكان زوسيم قد تعب جداً فوقع على ركبتيه باكياً
وجعياً وجهه بين يديه .

فكلم هذا الشخص المجهول معه قائلاً : يا ابن زوسيم سامعي
من أجل المسيح ، ولكني لا أستطيع أن أبقى بجانبك لأى امرأة .
وإن أردت أن أقدم خدمة لحاطة مثلى فاترك لها رداءك لتستتر به
وأعطيها برأتك

ولما سمع زوسيم إسمه في وسط الصحراء ومن كان لم يكن قد
رآه من قبل فهم أن هذه للمرأة ماعرفته إلا بإرشاد إلهي ، فطرح
لها رداءه وبعد أن وضعت على جسدها قالت له : لماذا فكرت يا ابني
في رباة لحاطة بالسة ، وماذا تنتفع من امرأة مثلى قالت هذا
وهي حاية على ركبتيها وكان زوسيم أيضاً قد فعل مثلها بدون وعي
منه وبقي على هذا الوضع بعض الوقت صامتاً .

أخيراً قالت المرأة : يا اب زوسيم أرجوك أن تباركني ، فأنت
كاهن وربتك العالمة والأسرار المقدسة التي تمارسها كثيراً تطيبك
هذا الحق .

فتمسح الأب جداً من معرفتها بكنهوته ولم يتالك نفسه حتى

المعلم حتى أن الله قد عمرك بمواهب عجيبة فقد عرفني إسمي وكنهوتي
مع أننا لم نتقابل من ذي قبل . فأطلب إليك بغض النظر عن كنهوتي
أن تباركني وتصلي لأجلي . . .

حينئذ أمام نوسلانه باركنه قائلة : مبارك الذي يخلص النفوس .
فأجاب هو آمين .

وعندئذ إنتسباً من سجودها فضالت له المرأة : لماذا أجهدت
ذاتك أيها الأب القديس لرؤية امرأة مجردة من الفضائل ؟
وحيث أن روح الله قادك الى خدمتي عن ملكوت الله في العالم فإن
لي زماناً طويلاً في الصحراء ولم أبصر كائناً حياً .

وبعد أن أجابها بما طلبته منه سألتها أن تصلي هي أيضاً من أجله .
فقالت له : أنت تصلي لأجلي ولأجل جميع الحشاء لأنه لهذا وضعت
عليك الأيادي ، وهذا هو عمالك . وإستدارت نحو الشرق ورفعت
عينيها نحو السماء وبسطت يديها وإبتدأت تصلي صلاة سرية .

أما زوسيم فكان صامتاً ومطرقاً رأسه إلى الأرض . ولما
أطالت القديسة صلاتها رفع رأسه فوجدتها في غيبوبة وكانت مرتفعة
عن الأرض نحو دراع ، المنكر في أنها تصنع هذه العجزة بقوة

الشیطان مظهره نفسها كأنها من القديسين . ولكنها فاجأته قائلة :
لما هذه الأفكار العريضة التي تدور بفكرك يا أبى ، فأنا لا أراى
واس للشیطان فى شيء ، ورغم خطاياى الكثيرة ولكن الله
غافر الخطايا والآثام فقد أمطر على من كنوز نعمته ومراحمه
الانهائية .

وكان الأب متعجباً ومتعبراً جداً أمام هذه النفس التي جباها
ألف مضائل كثيرة . فأراد لو أمكنه أن يعرف سر هذا السحر
الروحي الذي رآه فيها وقال لها فى جرأة مقدسه : باسم المسيح الذي
قادنى إليك أرجوك أن تعرفنى شخصيتك ولماذا جئت إلى هذا
المكان - وكيف استطعت أن تبقى فى هذه الوحشة الخيفة
فضيت من السنين ههنا - وما هى وسائل معيشتك . . . ؟

اعترافها

عندئذ قالت : إننى أخجل جداً يا أبى من أن أظهر لك عيوب
حياتى وساعهى مقدماً من أجل استحقاقات صليب ربنا
ولكن نعم سوف أخبرك بكل شيء . . . لكما تعرف مقدار يؤسى .
وليس سكونى من باب الخوف من الوقوع فى خطأ التماخر ولكن
لئلا نجعلك خطاياى شسباني تهرب فرجاً . . . لذلك أرجوك أنساء

حديثى المؤلم الذي سوف تسمعه يا أبى الا تتوقف عن الصلاة فـ
من أجل لكى يكون راضياً عنى إلى اليوم الأخير . وإبندات
تضحكى

هياتها الأولى

أنا مصرية وفى سن النضاية عمر أختينى والذي معهم إلى
الإسكندرية التي كانوا سيسكنون فيها . وكان الفساد ظاهراً فى
وضوح النهار فى كل أحيائها ، فأفسدت طعارة ذهني وكانت آلاف
الخيالات المرعبة تفسد أفكارى وآلاف الرغبات التبريرة تتسلا
قلبي ، وكانت إرادتى تقبل كل شيء . وما كان يمنسى إلا الخوف
المقترن بالإحترام لوالدى فكانا على أية حال يرقباني فى علاقائى
وطرقى مراقبة شديدة وهذا ما كان يؤلنى جداً . وكان كلما اشتدت
على رغبات قلبى الفاسدة تخلصت من ذلك الضيق بهرونى من
المنزل جرياً وراء اللذة الجسدية ، ولكن ما لبثت أن فقدت والذي
الواحد تلو الآخر لأنه ربما لم أكن مستحقة لرعايتها وكان
موتها مثل الناقوس الذي دق ساعة حريق وأية حربة ؟
لقد أفسدت روحى فساداً تاماً وفقدت بكورية جسدى وأسلمت
نفسى للعلاقات الغير المحكومة إلى مدة (١٧) عاماً . ولم يكن

ذلك عن احتياج مادي أو حاجة في الجواهر والهدايا ولكن كان
فقط من أجل إشباع الحواس

زهابها إلى أورشليم

وفي يوم من أيام الصيف رأيت جمعاً من المصريين والليبيين
نازحين تجاه الميناء ، تجريت نحو واحد منهم وعلت منه أن كل
هذا الجمع كان يذهب إلى أورشليم لتكريم الصليب المقدس الذي
كان سيحتفل به بعد أيام .

وللمحال دبرت خطتي فقلت له : وهل تأخذوني معك إذا أردت
أن أسافر ؟ فأجاب : ولم لا ، إذا كنت تستطيعين دفع أجر
مكانك وتأخذني المؤن الكافية للسفر .

فأجبت « الحق أيها الرجل الطيب ليس عندي مائلاً واحداً
لدي ما أدفع تكاليف السفر والطعام ، ولكني على أية حال
سأسافر فهذا لا يعني فسوف أسأل إحدى الراكب وبالتالي
سأجد ما أكل ، لأن لي تجارتي أنا أيضاً »

ونظرت إلى الأب زوسيم بخجل قائلة : فأناظر قساوتي يا أبي ،
أنظر عاري ، فقد كان العرض من سفرى هو إهلاك الفوس . !

ولكن الرجل الذي سأته فهم معنى هذه الكلمات التي استعملتها وهز
رأسه وجاز في طريقه .

أما أنا فحقى دون أن أعود إلى منزلي سرت مسرورة نحو
للبناء فوجدت جماعة من الشبان يتناقشون ففكرت في أي سوف
أصح . . . وإقتربت وبدون خجل إنضمت إليهم وقلت لهم : أيها
الشباب خذوني معكم ، فليس معي ما يكفي لمصاريف السفر ، وبالتالي
سأجعل نفسي نافعة بقدر ما أستطيع . هل فهموا سوء نيتي التي
كانت تتفق إتفاقاً تاماً وشهوات منهم — أو أنهم لم يروا في سوى
مسيحية فقيرة أرادوا أن يؤدوا لها خدمة جليلة . . . ؟

لا أستطيع أن أقول ، ولكن الذي حدث هو أنهم قبلوني
وحيث أن السفينة التي ركبوها كان قد حل موعد تحركها ركبنا
معهم بملابسى كما هي ورفعوا للرساة على أصوات التصفيق ، وكت
أودع بيدي مع رفاق الفرجين اللبان العظيمة التي للمدينة وسرعان
ما إختقت تدريجياً ولم يبدو من الإسكندرية إلا فانارها اللبنة من
بعيد مثل النجم : ونظرت إلى الأب قائلة . . . دعني لا أذكر هذا
العبور فهو أكبر ندم في حياتي البائسة ، حتى أنني أندهش كيف
أن البحر إحتمل مثل هذا الفسق . . . والأرض لم تفتح فهاها
لتبتاعني من بعد خروجي من السفينة مباشرة وتدفعني حية في جعهم . . . ؟

ولكن . . . الله برحمته الكثيرة الذي لا يريد موت الحاطي .
. . . كان ينتظري . أخيراً وصلنا إلى اورشليم وكانت مدة إقامتي
بالمدينة للقدسة لم تغير شيء في سلوكي الخطيء . فكنت هناك أقطع
شراً مما كنت عليه قبلاً . فكنت أضيع أرواح الشباب والتي
الشباك لإصطياد براءتهم .

أخيراً جاء يوم العيد فلما رأيت الجمع يتبعه نحو كنيسة القيامة
إلتصمعت إليهم ووصلت إلى الساحة . وكانني محمولة من شدة الزحام
وكنت أنتظر دوري للدخول الكنيسة وربما أوشكت على
الإختناق عشرين مرة .

ولما وصلت إلى عند عتبة الباب وهمت بالدخول مثل الآخرين
ولكن - لا . . .

فكان الآخرين يدخلون بكل سهولة واما أنا فمهما حاولت ان
أحرك رجلي ولا أتقل من مكاني . فكانت هناك قوة خفية أو قفتي
لجأة ثم طردني من للدخل وأرجعتني إلى الورااء ثانية . فوجدت
نفسى وحيدة تحت البوابة وظننت ان ذلك ضعف ناتج من التعب
أو (هلوسة) وضحكت على نفسى وجررت ثانية لأخذ مكاني بين
الجموع التي كانت عند الدخل . وكنت أحاهد يدي وكنتي ليكبها

أكسب الوقت الذي ضاع مني فأنتقدم باكثر سرعة ، ولكن كل
هذا كان دون جدوى فإلى نحو ثلاث أو أربع مرات متتالية حدث
لي نفس الشيء . الحفي فكان الكل يدخلون بحرية وأوجد أنا وحيدة
ومطرودة شر طردة .

فلما تعبت تركت المحاولة . . . فقد غلبت . وإنسجبت إلى
مكان منعزل من البوابة لأستريح وبعد تفكير كثير إنتهيت إلى أن
السبب في هذا كله هو . . . عدم إستحقاقى . فكانت حياتي
القاسدة حاجزاً . أجل . وأي شركة بين شريرة مثلى وبين
حبيب المسيح . . . ١١١٠٠٠ ؟

توبتها وصلواتها

لما شعرت بهذا أخذتني توبة من الإفتعال وإتعبرت بالبكاء
من دون أن أدري . . . وأخذت أفرع صدري بشدة ودموعى
تنهمر بحرارة . وبينما كنت على هذه الحال تطلعت إلى فوق فلمعت
أيقونة للسيدة العذراء إذ كانت فوق رأسى ، فصرخت في حزني
« يا عذراء . . . إني أدرك مدى فذارتى وعدم إستحقاقى لأن أدخل
كنيسة الله . بل إن نفسى الدنسة هذه لا تستطيع أن تثبت أمام
صورتك الظاهرة . فيالحبلى . . . وصغر نفسى أمامك الآن . . .

لكن قولى لى ايها الأم ، ألم يتجسد إنك إلهى من اجل خلاص.
الخطاة؟ فسمعني في محنق هذه ايها الشفيعه المؤمنة وإسألئ الرب عنى
ليهنى إستحقاقاً لادخول الى كيبته حتى ما ألقى بنفسى أمام خشبة
صليب اينك واقبلها .. حيث تم خلاصى .. إرفعى عنى هذه القوة
التي تقاوم دخولى لأنى أعزم عزمأ أكيداً ألا أسلم نفسى ثانية الى
شهوانى .

وبعد أنت أكرم الصليب للقدس ، سوف أودع العالم وكل
ملائته . وداعاً نهائياً .. نعم سيكون ذلك . وأذهب حيث يشاء
إلهى .. وحيث ترشدني بأسمى ..

وبعد أن أتمت صلاتى ونذرت نفسى هكذا ، وجدت نفسى
مليئة بالثقة ، وكنت مقتنعة بأن طلبى قد أستجيب تماماً ، فتركت
المكان المنزول وأخذت مكانى من جديد بين جموع الوافدين .

فكم كان انعمالى وخوفى وأنا أقترب من المكان القدس حيث
طردت منه عدة مرات منذ لحظات .

وكان قلبى يمتلأ من الإنسحاق والندم وكنت أرى نفسى
صغيرة وحقيرة جداً أمام العظمة الإلهية .

وتبعت الجمع حتى وصلت أمام العتبة .. وبالأعجوبة وعمق
الحبة الإلهية ! ! فكل حاجز كان قد رفع ، ولكن مع ذلك كنت
أرتعد من القاه بين إلى الرأس .

فوجدت على الارض وسكبت دموعاً غزيرة على الخشبة المقدسة
وقبلتها ، ونسيت نفسى في صلاتى حتى إلى منتصف النهار . أخيراً ..
بعد خروجى من الكنيسة مررت عند مكان توبتى للمنزل ، حيث
أأقلب فساد قلبى .. وهتفت من أعماق مشاعرى « المجد لك ياربى
وإلهى ، يا مخلص نفسى .. يا من قبلت شفاعته والذاتك من اجلى ،
لأنك أنت قابل الخطاة الراجعين اليك وأما أنا يارب فلا أستطيع
أن أهرب عن شعورى بعمانك وحبك اتير المهدود لى .. وعظمة
هذه الحياة الجديدة التى تعطىها للتائبين .

وأنت ايها العذراء أرجوك أن تشجعنى بشفاعتك فى تميم
تنذرى وأطلبى عنى كثيراً أمام اينك يسوع حتى يقود حياتى وفق
إرادته .. والآن ماذا أفعل ؟ فلتسلم بإسدى حياتى وتهدونى كما
تشاء .. !

حينئذ صممت صوتاً يقول :

(أهدى الأردن فهناك تجدين مكانا لخلاصك) .

فتركت السكان متأثرة جداً بما حدث . ولم أنسى أبداً لحظات
توبين ودموعى . وطلبت من العذراء الاتساق ومشييت ولم أعلم
إلى أين أهدى . . . فكنت هناك حتى الصباح .

ولما مضيت في طريقى قابلت رجلاً أعطاني ثلاث قطع من
الفضة وقال لى « خذى ما أعطاك الله » فتمتمت ببعض كلمات
الشكر ومضيت في طريقى . . . وتوقفت عند خياز واشتريت منه ثلاثة
أرغفة وحباً لها تحت رداى وطلبت منه أن يرزق الطريق المؤدية إلى
الأردن .

وبعد أن عبرت من باب المدينة أحسست بأنى قد تغيرت جداً
وصكنت أجرى أكثر مما أمشى حتى إنتهيت إلى كنيسة القديس
يوحنا للعمدان القائمة بقرب النهر المقدس . . . وهناك لم أملك
دموعى عند تذكرى خطاياى فذهبت إلى النهر المقدس وغسلت
وجهى . . . ودخلت بعد ذلك إلى المسكن المقدس . . .
وهناك مارست (سر الاعتراف) فشرمت بارتياح عميق وفى أثناء
صلاة اقدس فعدت للتناول . ثم رجعت من الأردن متشجعة

أكثر من أى وقت مضى وهناك جلست على ضفافه الخضراء
وكسرت نصف رغيف لأسند به ضغى - لأنى لم أكن قد
أكلت منذ يومين . ثم استلقيت أرضاً لاسريح بعض الوقت .

وبعد أن استيقظت تقاضى مركب صغير إلى الضفة الأخرى . .
فضرعت إلى الله أن يرشدنى بما ينبغي أن أفعله ؟ اطلبت شفاعة
السيدة العذراء الطاهرة . . . وأخذت أسير فى الصحراء غير للسكونة
حتى وصلت إلى هذا المكان حيث نحن الآن . وإنى بأبى أقيم ههنا
فى العراء . . . منتظرة بكل ثقة بحى . يوم الرب .

فقاطع زوسيم الرواية المؤثرة التى لهذه المرأة العجيبة قائلاً :

أيتها الأم - كم لك من السنين ههنا ؟

فأجابته : تركت المدينة المقدسة منذ ٤٥ سنة

قال : وكيف استطعت أن تعيش ههنا لأنى لا أرى ما يمكن

أن يبقى حياة بشرية ؟ !

أجابت : لقد كان لى رغبان وهما اللذان بقيا معى بعد عبورى

الأردن . ولما جفا أخذت أكلها قطعة قطعة . . . والله الذى يدبر

كل شىء دبر الباقى .

فعاد زوسيم يدال : هكذا إذا أضيبت دون صعوبات هذا العدد
الكبير من السنين ١١١

جهادها ونصرتها :

أجابته : ان هذا الاعتراف الذى تطلبه منى صعب على جدا .
فالتجارب التى مرت فى كانت شديدة حتى أن مجرد تذكرها اليوم
يرجعنى .

فددة سبعة عشر عاما حاربت الشبهات التفسير المرئية التى
للطبيعة الفاسدة . ثلما أحارب وحوشا حقيقية .

فكان الجوع يلازمى . وللعال كنت أشتهى الشراب . لآنى
كثيراً ماشربت من الخمر الفاخرة فى سنى حياة الخطية . ولكنى
ههنا لم أجد ما أشربه حتى فى أشد الأوقات حرارة .

وكان هذا العطش الغير المحتمل يتحول فى إلى ألم لا يطاق
وكانت مئات الأغاني الخلبية ومئات الألحان القبيحة تعمر على ذهنى
بل وتأنى على شفتى وحيثشذ كنت أفرغ صدرى مذكرة نفسى
ينظر توبى الذى لا يزال حاضراً فى ذهنى .

وكنت أسلم نفسى بدموع تحت أقدام الله طالبة معونته وشفاعة
والدته عني وكانت لانزال صورتها النورانية تملأ عيني .

وبعد جهاد كثير ودموع غزيرة كان يحوطنى نور باهر من
كل ناحية وكانت التجربة تهرب من أمامى .

ومرات كثيرة أخرى كانت تهاجمنى فيها آلاف الكسريات
الحسية والافكار الدنسة وكانت تجعل فى قلبى آلاما شديدة بسل
كانت تجرى فى عروقى مثل حمر مشتمل ، حيثشذ كنت أخرج
على الأرض متضرعة من كل قلبى . . بل كنت أحيانا كثيرة أبقي
على هذا الوضع أياما وليال . . إلى أن يحوطنى النور الالهى مثل
دائرة من نار لا يستطيع الحرب أن يتعداها . وكانت العذراء معينة
لى بالحقيقة فى حياة التوبة فكانت طوال هذه اللدة تقودنى بيدها
وتصلى من أجلى .

وأستطردت تقول : « ولما فرغت الحبرات كنت أكل الحشائش
والجذور التى كنت أجدتها فى الأرض .

وإنا ملاسنى فقد تهرأت من الإستعمال . . وقد آلتنى الحرارة
والبرودة كل بدوره . فكانت أحترق من الشمس أحيانا . وأرتعد

من البرد أخرى لدرجة أنني كنت أبقى مغفيا على على الأرض .
ولكن . . بالرغم من كل هذا فقد حفظني الله إلى هذا اليوم .

وعندما أتذكر الأخطار والتجارب التي أعطاني النصر فيها
يزداد يقيني به ويتسرع قلبي بخلاصه . . فسألها الأب قائلا : ولكن
يظهر لي أنك تعرفين الكتب المقدسة والزامير ، فمن هو الذي
حكمت إياها ؟

أجابته : منذ أن تركت العالم وعبرت الأردن لم أر وجه
إنسانا وأنت يا أبي أول كائن حي قابلته هنا - ولم أر لا وحشا ولا
حيوانا - فلم يعلمني أحد . ولكن الله يعطى من يبحث عنه . من
كنوز معرفته .

وأردفت تقول : واطن انه لا يجب على أن أطيل أكثر من
ذلك . . والآن . . وقد هدت تفصيل حياتي المريرة ، لم يبق لي إلا
أن أجلس منك صلاة حارة من أجل . . وإعنت حينئذ لتأخذ بركة
الكاهن القديس .

فرجع هذا الأخير يديه المرتعشتين وصرخ بدموع :

(مبارك العلي الذي تمنع مثل هذه المعجائب العظيمة ، مبارك

إسمه الذي كشف لي عن كنوز النعم التي يغمرها قلوب خائفيه) . ثم
وقدت فبأنة لتضع يدها الشيخ من أن ينحني أمامها ليأخذ بركتها ؛
ولصحتها وجهت إليه هذه الوصايا الأخيرة :

باسم الرب يسوع المسيح مخلصنا استملفك ألا تقول لأحد
شيئا عنى أو عن حياتي قبل أن أموت . والآن . . يا أب زوسيم عد
بسلام إلى ديرك وسوف تتقابل بعد عام - لأنك في الصوم القادم
سوف لا تمبر الأردن كما هي العادة ، ولكيك سوف تبقى بالدير
فهذه إرادة الله - فتعال في يوم خميس العهد القادم عند ضفة النهر
في للسكان الأترب حاملامعك جسد المسيح ودمه الأقدسين ،
وانتظرنى . . فسوف آتى لأخذ من يدك (سر القناول) الذي لم أكل
منه منذ دخولي في هذه الوحدة ولئى إشتياق وإحتياج هديدين للاعحاد
مع المسيح .

اوص الأب يوحنا رئيسكم - ليس الآن ولكن فيما بعد ان
يسهر على القطيع العطش لرعايته لأن كثير من خرافه تحتاج إلى
تأديب .

والآن إلى اللقاء في العام القادم وفي الساعة التي أكل فيها

المسيح العشاء الأخير مع رسله ... صل كثيرا من أجله ، وترك
الأب متعجبا جداً ولا سيما من التفاصيل الدقيقة التي أعطته إياها
عن ديره .

ولما ابتعدت كان الأب يتبعها بنظره إلى أن اختفت أخيراً ..
ثم سجد وقبل الأرض التي داستها .

وأخذ طريق العودة إلى الدير حيث وصله ليلة أحد السعف وهو
اليوم المحدود لرجوع الرهبان .

+++

حفظ زوسيم السر طوال السنة بأمانة وكان يصل من أعماق
قلبه من أجل التابثة العجيبة .. وكان يشاقق اشتياقاً مقدساً لرؤيتها
ثانية .. ولذلك كان الوقت يبدو له طويلاً ..

نبأته القريسة :

عادت أيام الصوم للقديسة وأخرج الرهبان كحسب العادة إلى
الصحراء .. أما زوسيم فكان قد أعتزته حمى في ليلة الخروج مما
إنظره معها إلى البقاء بالدير .

ورأى أن هذا المرض يسبح من الله ، وعلى أية حال فلم يكن
المرض خطيراً ولا طويلاً وإن كان كافياً لإيقاظه بالدير . وبعد قداس
خميس العهد حمل (١) زوسيم الجسد والدم الكرعيين كما أخذ معه
بعض البقول والبلح وذهب ليبتظر بحىء القديسة على ضفة النهر .
إنظرها طويلاً .. وكانت عينيه تشخصان إلى الصحراء وتتكشف
الأفق البعيد بقلق ، حتى أنه فكر أنها ربما جاءت ولم تجده وكان
يصلى إلى الله طالباً رؤيتها .. وفجأة .. رآها على الضفة للقبالة
أمامه فوق مسروراً للقاية وصرخ نحو السماء يقدم الشكر لله .

ثم رآها ترشم علامة الصليب فوق الليانة ثم تعبر النهر ماشية
على اللآء متجه نحو بهدوء .. وإزاء هذه الأعجوبة حاول زوسيم
أن ينحني أمامها ولكنها صرخت نحووه (أيها الأب .. أيها
الكاهن .. ماذا تعمل .. ؟ هل نسيت أنك تحمل الأسرار
للقدسة ؟) .

حيثما تقدمت هي وسجدت أمام السر في خشوع . وحسب

(١) يحمل الجسد والدم الكرعيين في إناء من الفضة مخصص بسمى
(حق المناولة) .

العادة ثلث قانون الإيمان الأرثوذكسي والصلاة الربانية ثم ناولها
من الأسرار للقدسة .

† † †

وباللاعجوبة . . . وبالعظمة الله في قدسيه التي رأيته بعيني انا
المسكين زوسيم ! !

رأيته بعد قليل وقد رفعت يديها نحو السماء وصرخت قائلة :
(الآن أيها السيد أترك عيذك تذهب بسلام لأن عيني رأنا
خلاصك) .

وحيث استمدت نحوي - وانا لم أكن قادراً على الحركة
امام كل هذه العجائب - قائلة : (لي طلبة اخرى ايها الأب وهي
أن محض في العام القادم إلى الغارة الأولى حيث تقابلنا لأول مرة .
وعناك ستراني مرة اخرى بمشيئة الرب)

ولم املك نفسي فقلت لها : ايها الأم للكرمة . لي اشتباه
ان اتبعك في الصحراء . فسمعت . ولحنتها تنظر إلى فوق كأنها
تطلع طويلاً إلى شيء غير منظور . . .

فقات لها : ارجوك ان تقبلي مني هذا القوت البسيط . وكنت

اسكلم بصوت مزوج الحزن والحيرة مما جعل القديسة تشعر بانها
يجب عليها ان تستجيب لثلاث محزني أكثر .

فأخذت قليلاً من الترمس بيدها وسألت الله ان يعوضني وفاتت
لي (لحفظ الجسد من الفساد (١) . تكفي نعمة الروح القدس -
وارجوك ان تستمر في الصلاة من اجلي كثيراً) .

وحيث رشمت علاة الصليب على الظهر وعبرته راجعة . . .
وسرعان ما اختفت عن أنظارى .

† † †

وعاد زوسيم إلى ديريه فرحاً ولكنه كان قد نسي ان يسألها عن
اسمها . وفي صوم السنة التالية ترك زوسيم الدير في اليعاد المحدد
ليذهب إلى الصحراء واسرع ومضى إلى المكان الذي قابل فيه (أول
مرة) القديسة الناسكة - التي تعرف كل شيء عنه وهو لا يعرف
اسمها إلى الآن . ونزل في التجوة الصغيرة حيث كان حديثها لأول

(١) يبدو أنها تكلمت عن فساد البوت لأنها كانت مستنزل من العالم
وهو لم يفهم ذلك .

مرة . ونظر حوله . . ونظر بعيداً بقدر ما يرى إتساع الصحراء
يضيق في الأفق البعيد . ودار حول القارة وفتشها جيداً ولكنه
توقف فجأة منفعلاً على أثر رؤيته لها ساجدة ووجهها متجه نحو
الشرق ويدها بلا حركة ومنضمتهان في جمود للسوت . . فركع
زوسيم على ركبتيه وبكى كثيراً من أجل الراحة الكريمة ، وصلى
صلوات الدفة عليها .

ولما أراد أن يفحص عن قرب وجهها وجد مكتوباً :

(ياأب زوسيم إدفن هنا جسد مسريم البائسة وإترك للتراب
جسد الحطية هذا وصل من أجلي) .

فتعزى القديس للتوحيد بهذه القراءة جيداً وأراد لو أمكنه
أن يعرف نياحتها . . فنذكر أنها نيتحت ليلة تناولها من الأسرار
هند الأردن (١) . وقد حملتها قوة الخلية في النهر الى القارة الصغيرة
وفي أقل من ساعة كانت قد آتمت سفر (٣٠ يوماً) سيراً على
الأقدام .

+ † +

(١) كانت ذلك سنة ٤٢١ م (السنكار) .

وظهر على وجه الشيخ في هذه اللحظة مزيج من الألم والفرح
وهم يحاول أن يحفر حفرة ليتم أخسر وصية للقديسة ولكن لم
تكن لديه أدوات يستخدمها لهذا الغرض فلم يفلح وذلك لشدة
صلابة الأرض هناك من ناحية . ومن ناحية أخرى كان جسده
الضعيف يفعل السنين منهكاً من هذا العمل غير المجدى وكان
يصعب عليه الوقوف للاستراحة .

وفي أثناء جهاده وحيرته من أجل هذا الأمر رفع عينيه فوجد
أسداً ناثماً نصف نومة بجانب الجثة ويدها الى الامام وهيناه يسدو
عليها الطيبة ولسانه متدل من فمه .

وعند رؤية هذا الزائر غير المتوقع خاف زوسيم جداً وبالأكثر
لأن القديسة كانت قد أكدت له أنها لم تر وحوشاً أبداً

فرشم ذاته بعلامة الصليب وطمأن نفسه أنه قد أصبح في سمي
من أية مقامرة سيئة - ولم يكن على خطأ في ظنه لأن ملك الحيوانات
تقدم إليه وكأنه يزحف في خطوات لطيفة وكان يجعل عينيه لطيفتين
ومعبرتين بقدر الإمكان .

فقال له الشيخ وكأنه يوحى : أيها الحيوان الجميل - القديسة
التي ههنا رغبت أن أدفن جسدها هذا .

فهز الحيوان ذيله وكأنه يقول (هذا حسن جداً) . وفي الحال
ابتدأ الوحش في العمل - وكأنه كان منتظراً هذا الأمر . وسرعان
ما ساعدته مخالفه الأمامية والخلفية في حفر الأرض وما أن أم عمله
حتى ذهب لينام وكان يضرب وسطه بذيله وكان جالساً ينظر
ما يفعل الشيخ الذي وضع جسد القديسة وإستودع هذه الوديعة
الثمينة الأرض باحترام مقدس وترك هناك بعض العلامات لكيما
تظهر في المستقبل .

وعاد زوسيم إلى ديريه وهو يقول : حقا : إن العشارين والخطاة
والزناة سيذهبون إلى اللسكوت للنهاوى . وكان يحث نفسه
كثيراً على غفلة السابقة .

وما أن وصل الدير حتى ذاع هذا السر وابتدأ يحسكى هذه
الرواية العجيبة التي للقديسة الثابتة . ودونها في كتاب . ولاعب
فقد ظل طوال حياته الباقية وحتى بعد أن أذابته السنون - يذهب
إلى المغارة الصغيرة كل سنة في وقت الأربعين المقدسة .

وعاش هذا الأب الطوبى في ديريه هذا الى أن بلغ سن
الثمانين وتتيح بسلام . بركة صلواته تكن معنا آمين .

أما القديسة فقد اكتشف جدها في عهد البطريرك يوحنا

بطريرك أورشليم .

وقد أجرى الرب على جسدها الطاهر عجائب وآيات كثيرة .
وعيد هذه القديسة كان يعتبر من الأعياد الأربعة للقديسين (١)
التي كان يجيد بها الشرقيون القدماء في شهر إبريل .

وتعيد لها الكنيسة القبطية في يوم (١٦ برمودة) من كل
عام . بركة صلاة هذه القديسة تكون معنا ولربنا الحمد دائماً ابدياً
آمين .

(١) وهم (القديسة مريم المصرية - القديس مارفرانس - مارجرس
- مارحطوب الرسول) .

مراجع هذه القصة :

(١) كتاب قديسو مصر .

• شينو •

(٢) كتاب الدر الثمين في أخبار القديسين .

• مكسيموس مظلوم •

(٣) كتاب سنكار الكنيسة القبطية الأرثوذكسية .

(٤) كتاب قصة الكنيسة القبطية .

• للآنسة إريس المصرى •

(٥) كتاب • مروج الأخيار •